فلم يبق في الجماعة إلا من سُرّ لسروره، ورضخ له بميسوره،
فقبل عفو برّهم، وأقبل يبرق في شكرهم، ثم انخزل من البقيع
يؤم شاطئ [illegible]، واتبعته الحثيث تخالنا، وأمنا
التحشم والتحشي علينا **فقلت** له لقد أغربت في هذه
النوبة، فما رأيك في التوبة، فقال أقسم بعلّام الخفيّات،
وغفّار الخطيئات، إن شأني لعجاب، وإن دعاءه لقومي لمجاب،
فقلت زدني إيضاحاً، زادك الله صلاحاً، فقال والله لقد
قمت فيهم مقام المريب الخادع، وانقلبت بقلب المنيب
الخاشع، فطوبى لمن صفت قلوبهم إليه، وويل لمن باتوا يزرون
عليه، ثم ودعني وانطلق، وأودعني القلق.

قال الحارث بن همام فلم أزل أعاني القلق، وأتشوّف إلى
خبرة ما ذكر، وكلما استنشيت خبره من الركبان، وجوّابة
البلدان، كنت كمن حاول تجفاف، أو نادى صخرة صماء، إلى أن
لقيت بعد تراخي المدة وترامي الكرة ركباً قافلين من هجر
فقلت هل من مغربة خبر، فقالوا إن عندنا الخبر الأغرب
من العنقاء، والأعجب من نظرة الزرقاء، فما لبثت أن لحظ ما

فقالوا

ما قالوا، وأن يكيلوا له ما اكتالوا، فحكوا أنه ألمّ
بحرّان، وإذ بها العلوج، فرأوا أبا زيد المعروف
لبس الصوف، وأمّ الصفوف، وصار بها الزاهد الموصوف،
فقلت أتعنون ذا المقامات، فقالوا إنه الآن ذو الكرامات،
فحفزني إليه النزاع، ورأيتها فرصة لا تضاع، فارتحلت
رحلة المغذّ، وسرت نحوه سير المجدّ، حتى حللت بمسجده،
وقرارة متعبده، فإذا به قد نبذ صحبة أصحابه، وانتصب
في محرابه، وهو ذو عباءة مخلولة، وشملة موصولة،
فهبته مهابة من ولج على الأسود، ووجدته من سيماهم
في وجوههم من أثر السجود، ولما فرغ من تسبيحه، حيّاني
بمسبحته، من غير أن نغم بحديث، ولا استخبر عن قديم ولا
حديث، ثم أقبل على أوراده، وتركني أعجب من اجتهاده، وأغبط
من يهدي الله من عباده، ولم يزل في قنوت وخشوع، وسجود
وركوع، وإخبات وخضوع، إلى أن أكمل إقامة الخمس، وصار
اليوم أمس، فحينئذ انكفأ إلى بيته، وأسهمني من قرصه
وزيته، ثم نهض إلى مصلاه، وتخلى بمناجاة مولاه، حتى إذا

Copyright © King Saud University